بسم الله الرحمن الرحيم

قُوَّةُ الأَوْطَانِ ٢٢ ذُو الْحِجَّةِ ١٤٤٥هـ

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ حُبَّ الْوَطَنِ أَمْرٌ فِطْرِيٌّ غَرِيْزِيٌّ؛ حَيْثُ إِنَّهُ الْمَكَانُ الَّذِي وُلِدَ فِيهِ الْإِنْسَانُ، وَتَفَيَّأَ ظِلَالَهُ، وَتَرَعْرَعَ فِي أَحْضَانِهِ، أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَهْ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ حَمْرَاءَ الزُّهْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَاقِفًا عَلَىٰ الْحَزْوَرَةِ [مَوْضِعٌ بِمَكَّةَ]، فَقَالَ: «وَاللهِ إِنَّكِ لَخَيْرُ أَرْضِ اللهِ، وَأَحَبُّ أَرْضِ اللهِ إِلَىٰ اللهِ، وَلَوْلَا أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكِ مَا خَرَجْتُ».

إِنَّ إِخْرَاجَ الْإِنْسَانِ مِنْ وَطَنِهِ كَإِخْرَاجِهِ مِنَ الْحَيَاةِ؛ وَلِهَذَا قَرَنَ اللهُ تَعَالَىٰ بَيْنَهُمَا فِي كِتَابِهِ، قَالَ سُبْحَانَهُ عَنِ الْيَهُودِ: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾.

عِبَادَ اللهِ: إِنَّ حُبَّ الْوَطَنِ يَسْتَوْجِبُ عَلَىٰ الْمُسْلِمِ طَاعَةَ وَلِيِّ أَمْرِهِ بِالْمَعْرُوفِ، تَعَبُّدًا لَا تَزَلُّفًا، وَرِضًىٰ لِلرَّحْمَنِ، لَا بِالْهَوَىٰ وَالْعِصْيَانِ، فَلَا يَتَحَقَّقُ أَمْنُ الْوَطَنِ، وَحَقْنُ الدِّمَاءِ، وَإِقَامَةُ الشَّرْعِ إِلَّا بِالطَّاعَةِ، وَلُزُومِ الْجَمَاعَةِ، قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾.

وَحُبُّ الْوَطَنِ يَحْدُو بِالْعَبْدِ أَنْ يَدْعُوَ لِحَاكِمِهِ بِالتَّوْفِيقِ وَالْمُعَافَاةِ، فَإِنَّ الْحَاكِمَ أَحْوَجُ مَنْ يُدْعَىٰ لَهُ؛ لِأَنَّ صَلَاحَهُ صَلَاحٌ لِلْوَطَنِ وَأَهْلِهِ، أَخْرَجَ أَبُو نُعَيْمٍ فِي «حِلْيَةِ الْأَوْلِيَاءِ»، عَنِ الْفُضَيْلِ بْنِ عِيَاضٍ رَحِمَهُ اللهُ قَالَ: لَوْ أَنَّ لِي دَعْوَةً مُسْتَجَابَةً مَا صَيَّرْتُهَا إِلَّا فِي الْإِمَامِ. قِيلَ لَهُ: وَكَيْفَ ذَلِكَ يَا أَبَا عَلِيٍّ؟ قَالَ: مَتَىٰ مَا صَيَّرْتُهَا فِي نَفْسِي لَمْ تُجْزِنِي، وَمَتَىٰ صَيَّرْتُهَا فِي الْإِمَامِ فَصَلَاحُ الْإِمَامِ صَلَاحُ الْعِبَادِ وَالْبِلَادِ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: مِنَ الْأُمُورِ الْمُهِمَّةِ وَقْتَ الْأَزَمَاتِ أَنْ يَمْتَلِأَ قَلْبُ الْعَبْدِ بِالْأَمَلِ. وَأَنْ يَتَفَاءَلَ بِالْخَيْرِ، وَأَنْ يَظُنَّ بِاللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ظَنًّا حَسَنًا، فَإِنَّ الْبَلَاءَ مَهْمَا اشْتَدَّ، وَالْكُرُوبَ مَهْمَا عَظُمَتْ، لَا بُدَّ لَهَا مِنِ انْفِرَاجٍ، وَلَا بُدَّ مِنْ خَيْرٍ يَعْقُبُ الشَّرَّ، وَلَا بُدَّ مِنْ سَعَةٍ تَعْقُبُ الضِّيقَ، وَاللَّيْلُ يَعْقُبُهُ نَهَارٌ، وَلَا يَرْفَعُ الْبَلَاءَ إِلَّا اللهُ، وَلَا يَكْشِفُ الضُّرَّ إِلَّا اللهُ ﷻ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن

ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ قُلِ اللهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾.

وَمِنَ الْأُمُورِ الْمُهِمَّةِ أَيْضًا عِنْدَ الْأَزَمَاتِ أَنْ لَا تَجْعَلْ أُذُنَكَ مَفْتُوحَةً تَسْمَعُ لِكُلِّ مَا يُقَالُ، وَلَا تَتْرُكْ لِسَانَكَ طَلِقًا يَتَكَلَّمُ بِكُلِّ مَا يَسْمَعُ. فَإِنَّهُ فِي هَذِهِ الْأَوْقَاتِ تَكْثُرُ الشَّائِعَاتُ، وَتَكْثُرُ الْأَخْبَارُ الْكَاذِبَةُ الَّتِي لَا أَسَاسَ لَهَا مِنَ الصِّحَّةِ، وَيَسْهُلُ نَقْلُ الْأَخْبَارِ، وَالْحَدِيثُ بَيْنَ النَّاسِ. وَكَثِيرٌ مِنَ الْمُغْرِضِينَ يَصْطَادُونَ فِي الْمَاءِ الْعَكِرِ، وَيَسْعَوْنَ لِإِثَارَةِ الْبَلَابِلِ، وَإِقْلَاقِ الْآمِنِينَ، وَإِحْدَاثِ الْفِتَنِ وَالِاضْطِرَابَاتِ بَيْنَ النَّاسِ.

عِبَادَ اللهِ: إِنَّ الْأَمْنَ فِي الْبُلْدَانِ مَعَ الرِّزْقِ وَالْعَافِيَةِ فِي الْأَبْدَانِ هُوَ الْمُلْكُ الْحَقِيقِيُّ، وَالسَّعَادَةُ الْمَنْشُودَةُ، وَلَقَدْ قَدَّمَ النَّبِيُّ ﷺ نِعْمَةَ الْأَمْنِ عَلَىٰ نِعْمَتَيِ الصِّحَّةِ وَالْمَالِ، أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَهْ، وَحَسَّنَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ، عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ مِحْصَنٍ الْخَطْمِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ، مُعَافًىٰ فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا». إِنَّ الْبِلَادَ إِذَا خَلَتْ مِنَ الْأَمْنِ فَلَا تَسَلْ عَنِ الْهَرَجِ وَالْمَرَجِ، فَإِذَا ضَاعَ الْأَمْنُ حَلَّ الْخَوْفُ وَتَبِعَهُ الْفَقْرُ، وَهُمَا قَرِينَانِ لَا يَنْفَكَّانِ، قَالَ اللهُ ﷻ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللهِ: ﴿وَضَرَبَ اللهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللهِ فَأَذَاقَهَا اللهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾. فَالْأَمْنُ وَالِاسْتِقْرَارُ إِذًا مِنْ أَهَمِّ مُقَوِّمَاتِ الْعَيْشِ وَمَطَالِبِ الْحَيَاةِ، وَالْوَاقِعُ وَالتَّارِيخُ يُؤَكِّدُ هَذَا كُلَّهُ، فَالْبِلَادُ الْآمِنَةُ يُرْحَلُ إِلَيْهَا، وَتَزْدَهِرُ مَعِيشَتُهَا، وَتَهْنَأُ النُّفُوسُ بِالْمُكْثِ فِيهَا؛ وَلِذَا كَانَ مِنَ النَّعِيمِ الْمُسْتَلَذِّ بِهِ عِنْدَ أَهْلِ الْجَنَّةِ نَعِيمُ الْأَمْنِ وَالْأَمَانِ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ﴾، وَفِي الْمُقَابِلِ حِينَمَا تَخْلُو الدِّيَارُ مِنَ الْأَمْنِ وَالْأَمَانِ، تُصْبِحُ أَرْضًا مُوحِشَةً، وَإِنْ كَانَ فِيهَا مَا فِيهَا مِنَ النِّعَمِ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ قَوْمًا يَفْتَؤُونَ يَنْشُرُونَ الشَّائِعَاتِ، وَيَبُثُّونَ الِافْتِرَاءَاتِ؛ لِأَجْلِ إِضْعَافِ مَنْزِلَةِ الْوَطَنِ

فِي النُّفُوسِ، وَهَدْمِ الشُّعُورِ بِالِاعْتِزَازِ بِهِ، مُسْتَغِلِّينَ فِي ذَلِكَ وَسَائِلَ التَّوَاصُلِ الِاجْتِمَاعِيِّ، فَاحْذَرُوا أَنْ تَكُونُوا لِهَؤُلَاءِ أَبْوَاقًا، أَوْ تَجْعَلُوا نَوَادِيَكُمْ لِبِضَاعَتِهِمْ أَسْوَاقًا، فَإِنَّ فِي ذَلِكَ خِيَانَةً وَتَضْيِيعًا لِلْأَمَانَةِ؛ فَالْأَمْنُ وَالْأَمَانُ مَطْلَبٌ تَصْغُرُ دُونَهُ كَثِيرٌ مِنَ الْمَطَالِبِ، وَتَهُونُ لِأَجْلِهِ كَثِيرٌ مِنَ الْمَتَاعِبِ، الْأَمْنُ فِي الْأَوْطَانِ لَا يُشْتَرَىٰ بِالْأَمْوَالِ، وَلَا يُبْتَاعُ بِالْأَثْمَانِ، وَلَا تَفْرِضُهُ الْقُوَّةُ، وَلَا يُدْرِكُهُ الدَّهَاءُ، وَإِنَّمَا هُوَ مِنَّةٌ وَمِنْحَةٌ مِنَ الْمَلِكِ الدَّيَّانِ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾. فَبِالْأَمْنِ وَالْأَمَانِ تَعْمُرُ الْمَسَاجِدُ، وَتَصْفُو الْعِبَادَةُ، وَيُنْشَرُ الْخَيْرُ، وَتُحْقَنُ الدِّمَاءُ، وَتُصَانُ الْأَعْرَاضُ، وَتُحْفَظُ الْأَمْوَالُ، وَتَتَقَدَّمُ الْمُجْتَمَعَاتُ، وَتَتَطَوَّرُ الصِّنَاعَاتُ.

فَإِذَا اخْتَلَّ نِظَامُ الْأَمْنِ، وَزُعْزِعَتْ أَرْكَانُهُ، وَاخْتُرِقَ سِيَاجُهُ، فَلَا تَسَلْ عَنِ الْآثَارِ الْوَخِيمَةِ الَّتِي تَحْدُثُ نَتِيجَةَ ذَلِكَ، مِنَ الْفِتَنِ الْعَاصِفَةِ، وَالشُّرُورِ الْمُتَعَاظِمَةِ؛ إِذْ لَا يَأْتِي فَقْدُ الْأَمْنِ إِلَّا بِإِثَارَةِ الْفِتَنِ الْعَمْيَاءِ، وَالْجَرَائِمِ الشَّنْعَاءِ، وَالْأَعْمَالِ النَّكْرَاءِ، وَمِنْ هُنَا فَالْأَمْنُ فِي الْإِسْلَامِ مَقْصِدٌ عَظِيمٌ، شُرِعَ لَهُ مِنَ الْأَحْكَامِ مَا يَحْمِيهِ وَيَحْفَظُ سِيَاجَهُ، وَيَمْنَعُ الْمِسَاسَ بِجَنَابِهِ. فَالْإِسْلَامُ حَرَّمَ كُلَّ فِعْلٍ يُخِلُّ بِالْأَمْنِ وَالِاسْتِقْرَارِ، وَحَذَّرَ مِنْ كُلِّ عَمَلٍ يَبُثُّ الْخَوْفَ وَالرُّعْبَ وَالِاضْطِرَابَ، فَالَّذِينَ يُرَوِّعُونَ الْمُسْلِمِينَ، وَيَقُومُونَ بِالْإِخْلَالِ بِأَمْنِهِمْ، وَيُهَدِّدُونَ مَصَالِحَهُمُ الِاقْتِصَادِيَّةَ مِنْ أَعْظَمِ الْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾.

عِبَادَ اللهِ: إِنَّ التَّزْهِيدَ فِي الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ شَابَتْ رُؤُوسُهُمْ فِي الْعِلْمِ مَرْتَعٌ وَخِيمٌ؛ بِهِ تُسْتَجْلَبُ الْفِتَنُ وَالْمِحَنُ، ذَكَرَ الْحَافِظُ الذَّهَبِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «السِّيَرِ» فِي تَرْجَمَةِ الْإِمَامِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْمُبَارَكِ رَحِمَهُ اللهُ قَالَ: مَنِ اسْتَخَفَّ بِالْعُلَمَاءِ ذَهَبَتْ آخِرَتُهُ، وَمَنِ اسْتَخَفَّ بِالْأُمَرَاءِ ذَهَبَتْ دُنْيَاهُ، وَمَنِ اسْتَخَفَّ بِالْإِخْوَانِ ذَهَبَتْ

مُرُوءَتُهُ.

وَقَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ رَحِمَهُ اللهُ فِي «تَرْتِيبِ الْمَدَارِكِ»: قَالَ أَبُو سِنَانٍ رَحِمَهُ اللهُ: إِذَا كَانَ طَالِبُ الْعِلْمِ لَا يَتَعَلَّمُ، أَوْ قَبْلَ أَنْ يَتَعَلَّمَ مَسْأَلَةً فِي الدِّينِ يَتَعَلَّمُ الْوَقِيعَةَ فِي النَّاسِ، مَتَىٰ يُفْلِحُ؟!

وَلَكِنِ انْتَبِهُوا رَحِمَكُمُ اللهُ، فَالْعَالِمُ بِحَقٍّ هُوَ مَنْ وَصَفَهُ الْعَلَّامَةُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ بِقَوْلِهِ - كَمَا فِي «مِفْتَاحِ دَارِ السَّعَادَةِ» -: الرَّاسِخُ فِي الْعِلْمِ لَوْ وَرَدَتْ عَلَيْهِ مِنَ الشُّبَهِ بِعَدَدِ أَمْوَاجِ الْبَحْرِ مَا أَزَالَتْ يَقِينَهُ، وَلَا قَدَحَتْ فِيهِ شَكًّا؛ لِأَنَّهُ قَدْ رَسَخَ فِي الْعِلْمِ، فَلَا تَسْتَفِزُّهُ الشُّبُهَاتُ، بَلْ إِذَا وَرَدَتْ عَلَيْهِ رَدَّهَا حَرَسُ الْعِلْمِ وَجَيْشُهُ مَغْلُولَةً مَغْلُوبَةً. اهـ وَلَيْسَ الْعَالِمُ الَّذِي يَتَلَوَّنُ فِي دِينِ اللهِ عَلَىٰ حَسَبِ مَصْلَحَتِهِ وَهَوَاهُ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ حُبَّ الْوَطَنِ يَقْتَضِي حِمَايَةَ سَفِينَتِهِ مِنْ خُرُوقَاتِ الْفَسَادِ؛ فَإِنَّ التَّوَاصِيَ بِالْحَقِّ، وَالتَّحْذِيرَ مِنَ الشَّرِّ حِمَايَةٌ لِسَفِينَةِ الْوَطَنِ مِنَ الْغَرَقِ، أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَىٰ حُدُودِ اللهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَىٰ سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَىٰ مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَىٰ أَيْدِيهِمْ نَجَوْا، وَنَجَوْا جَمِيعًا».

عِبَادَ اللهِ: مِنْ أَسْبَابِ الْفُرْقَةِ وَالتَّنَازُعِ الْمُؤَدِّي إِلَىٰ ضَعْفِ الْمُجْتَمَعِ: أَنْ يُنَصَّبَ لِلْأُمَّةِ شَخْصٌ، يُدْعَىٰ إِلَىٰ طَرِيقَتِهِ، وَيُوَالَىٰ وَيُعَادَىٰ عَلَيْهَا، غَيْرُ النَّبِيِّ ﷺ. قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللهُ فِي «فَتَاوِيهِ»: وَلَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يُنَصِّبَ لِلْأُمَّةِ شَخْصًا يَدْعُو إِلَىٰ طَرِيقَتِهِ، وَيُوَالِي وَيُعَادِي عَلَيْهَا، غَيْرَ النَّبِيِّ ﷺ، وَلَا يُنَصِّبَ لَهُمْ كَلَامًا يُوَالِي عَلَيْهِ وَيُعَادِي، غَيْرَ كَلَامِ اللهِ وَرَسُولِهِ، وَمَا اجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ الْأُمَّةُ، بَلْ هَذَا مِنْ فِعْلِ أَهْلِ الْبِدَعِ، الَّذِينَ يُنَصِّبُونَ لَهُمْ شَخْصًا أَوْ كَلَامًا، يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْأُمَّةِ، يُوَالُونَ بِهِ عَلَىٰ ذَلِكَ الْكَلَامِ أَوْ تِلْكَ النِّسْبَةِ وَيُعَادُونَ.